رسالة إلى ابن زيدون

زارها ابن زيدون وهي مستغرقة في نومها.. وألقى عليها من أشعاره ما أشعرها أنها ولادة، وطلب منها أن تكتب مما أوحى لها، واستيقظت لترى هذه الأبيات إلى جانبها، ففرحت بها، وعادت إلى نومها من جديد وهي ما بين الصحوة والمنام، وعندما صحت جيداً لم تجد شيئاً. وجاءت هذه الأبيات معارضة بهذا المعنى لقصيدة سعادة الشيخ الشاعر عبد العزيز سعود البابطين وهو أشهر من أن أعرفه، ومطلع قصيدته: «رسالة إلى ولادة»:

تذكـــرتُ أيـــام المـــودة بعدكـــم

فمـا عشـتُ يومـاً مـن رؤى الحـب خاليـا

أقلّـــبُ فكـــري ليلـــةً بعـــدَ ليلـــةٍ

بحبّكمـــو مـــا كـــانَ أشـــهى الليـاليـــا

وأحلـــمُ باللقيـــا، وجفنـــي مســـهدٌ

وقلبـــي يعيـــدُ الذكريـــاتِ الخواليـــا

وما أجمل هذا التخيّل الجميل الذي ندر في شعرنا الحديث.

أفـــاق ابـــنُ زيـــدون الهـــوى في فؤاديـــا

فضجّـت بـه النعمـى، وقـد كـان غافيـا

ومـــا كنـــتُ أدري قبـــل روعـــةِ حبّـــه

بـــأني ســـأجني مـــن زمـــاني الأمانيـــا

أجلْ قـد غـدا مـن بعدهـا الدهـرُ طـائعي

أنـــادي فـــألقى الأمنيـــاتِ أماميـــا

لـــيَ الله ممـــا قـــد أفـــاق بمهجتـــي

مـــن الحـــب لمـــا أن أتـــانيَ طاغيـــا

ففي قفص الأيام قد كان موطني
وأطلقني منه لأحيا فضائيا

فطِرْتُ ولكنْ في رياض غرامه
أغنّي فألقى الطير حولي شواديا

تملّك إحساسي، وأزكى مشاعري
وأطلق في دنيا البديع بيانيا

أردد في دنيا الصبابة غنوتي
وتمرح روحي في رياضِ غدا لِيا

تمرّ بيَ الأنسام تحمل عطرَه
لتجعل شوق القلب سكران صاحيا

أليس بها عطرُ ابن زيدون ملهماً
فدا نفحةٍ منه حياتي، ومالِيا

ولو مسّ رملَ البيد ما كان مسني
من الحب لاخضرتْ وعادت زواهيا

حنانيْكَ يا حبَّ ابن زيدون إنني
لَوَلادةُ عاشت هواك قوافيا

فرفقاً بقلبٍ يا ابن زيدون شاعرٍ
لغيرك لم يخفق وإن عاش صاديا

وجئتَ فأحييْتَ الفؤادَ بنظرةٍ
لك الله لو تدري بما كنت زاكيا!

ساحيا على هذا الغرام وإن أمت
فداه.. سيروي الدهر كم كان صافيا!